مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﷺ تسليما مزيدا. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران:١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء:١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال أيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلى فصبر فواها»(١).

لقد جنب الله أناسا من عباده الفتن ورفعهم على من سواهم ووقع فيها آخرون فصاروا في تعاسة وشقاء وذل وعناء.

---

(١) رواه أبو داود٤٢٦٣وصححه الألباني.

ووفق البعض من الصنف الثاني التوبة فالتحقوا بالصنف الأول وذاقوا حلاوة الإيمان وفازوا بحب الرحمن وتحرروا من عبودية الإنسان.

ولهذا قال الرسول ﷺ: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه**»(١).

فكم من قلوب أشربت الفتن حتى سودت ووقعت في الزنا مع علمها بتحريم الله عز وجل على عباده الفواحش ما ظهر منها وما بطن رحمة بهم وصيانة لأعراضهم ودفعا منه لأضرارهم فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقرن الزنا بالشرك لما فيه من مفاسد عظيمة فقال في وصف المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

وقال الرسول ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(٢).

فمن لم يحفظ فرجه لا يفلح قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [المؤمنون ١-٧]. ومن لم يحافظ على قلبه وعقله لا شك أنه على خطر عظيم، فعندما يقرأ القارئ أخبار الحب والمحبين يجد العجب العجاب مما وصل إليه حالهم وآل إليه مآلهم، فمنهم من فقد عقله، ومنهم خرج عن ملة الإسلام، ومنهم من أصيب بالقلق والخوف، ومنهم من مات

---

(١) رواه مسلم ١٤٤.

(٢) رواه البخاري ٦١٠٩.

مقهورا وما ذاك إلا لأنهم خالفوا قول الله سبحانه في قوله: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور: ٣٣].

وبداية الحب تكون رغبة أوتتيم، فإذا تعلق القلب بالمحبوب صار علاقة، فإذا انصب القلب نحو محبوبه يصير صبابة، فإذا صار القلب متمسكا بمحبوبه صار عشقا، وهكذا يزيد التعلق حتى يصيح العاشق عبدا لمعشوقه لا يستطيع نسيانه ولا عصيانه فهو بين يديه كالميت بين يدي المغسل يقلبه كيف يشاء. وصدق القائل:

سماعا يا عباد الله مني ... وكفوا عن ملاحظة الملاح
فإن الحب آخره المنايا ... وأوله شبيه بالمزاح

وذكر أنه كان لعبد الله بن عبيدة الريحاني جارية يهودية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو إليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه إنسان الصلاة يا أبا الحسن فقال له رويدك حتى تزول الشمس أي حتى تقوم الجارية)[١].

قال بعض السلف (**المعاصي بريد الكفر كما أن القبلة بريد الجماع والغناء بريد الزنا والنظر بريد العشق والمرض بريد الموت**)[٢].

قال العلامة ابن القيم في الجواب الكافي: (وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه كما قال العاشق الخبيث:

يترشفن من فمي رشفات ... هن أحلى فيه من التوحيد

وكما صرح الخبيث الآخر بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان ومن هذا الحال قال الشاعر:

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك، وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدا مخلصا من كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية

(١) المستطرف في كل فن مستظرف.
(٢) الجواب الكافي.

المخلوق مثله فإن العبودية أي كمال الحب والخضوع وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه فقد أعطاه حقيقة العبودية. أهـ.

ومن هؤلاء أبو القاسم الشابي الذي عاش على الحب وللحب حتى صار عبدا للمرأة فقد صرح في قصيدته (صلوات في هيكل الحب) وهو يخاطب محبوبته قائلا:

أنت أنشودة الأناشيد عناك إله الغناء رب القصيد

إلى أن قال:

أنت قدسي ومعبدي وصباحي وربيعي ونشوتي وخلودي
يا إبنة النور إني أنا وحدي من رأى فيك روعة المعبود
أنت ما أنت؟ أنت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وسحر وجمال مقدس معبود

وعندما كتب الشابي هذه الأبيات قال العلماء عنه بأنه وثني فهو يؤمن بإله الغناء ومعنى هذا أنه يؤمن بإله للحب وإله للمطر وغير ذلك مما لم تعرفه إلا العصور الوثنية سواء عند العرب أو عند الإغريق. ومعنى هذه النزعة الوثنية أن الشاعر مشرك لا يؤمن بإله واحد فهو إذا ملحد كافر.

ومضي الشابي في قصيدته يصور حبيبته ويستغيث بها لتنقذه من عذاب العشق والهيام ويطلب منها ما يسبب شقاوته... إلى أن قال:

وحرام عليك أن تسحقي آمـ ـال نفس تصبو لعيش رغيد

ولم يكتف بهذا بل صير نفسه عبدا ذليلا ساجدا عند قدميها يترجاها بقوله:

منك ترجو سعادة لم تجدها في حياة الورى وسحر الوجود
فالإله العظيم لا يرجم العبد إذا كان في جلال السجود

وقال في قصيدته (أيتها الحالمة بين العواصف):

أنت لم تخلقي ليقربك الناس ولكن لتعبدي من بعيد

ومع هذا فهو يعترف بشقاوته قائلا:

والشقي الشقي من كان مثلي ... في حساسيتي ورقة نفسي[١] أهـ المراد

فحالة أهل العشق الغير المشروع ذميمة ونفوسهم هينة رخيصة وعيشتهم سقيمة فهم يتقلبون من ضنك إلى ضجر ومن خساسة إلى تعاسة.

قال أحمد بن عثمان الكاتب:

وإني ليرضيني الممر ببابها ... وأقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال آخر:

قالوا عهدناك ذا عز فقلت لهم ... لا يعجب الناس من ذل المحبينا

لا تنكروا ذلة العشاق إنهم ... مستعبدون برق الحب راضونا

وانتقال بعضهم من الإسلام إلى الكفر سببه إطلاقهم العنان لأهوائهم ورغبات نفوسهم وبحثهم عن إشباع غرائزهم فأطلقوا النظر إلى ما حرم الله عليهم حتى أوقعهم في شبكة المغفلين نادمين لا يستطيعون الخروج منها.

هذا وإن العشق المذموم لا يحصل إلا لمن خف عقله وقل دينه وفقد ورعه قال الله تعالى ﴿ومَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] ولو فكر الناس بعواقب ارتكاب الفواحش لابتعدوا عن العمل بأسبابها كما قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب سببا ... حتى يفكر ما تجني عواقبه

قال ابن القيم في روضة المحبين: (والحب مبناه على الذل والخضوع للمحبوب كما قيل: اخضع وذل لمن تحب فليس في شرع الهوى أنف يشال ويعقد) أهـ.

وقال المتنبي:

تذلل لها واخضع على القرب والنوى ... فما عاشق من لا يذل ويخضع

وقال الشاعر:

مساكين أهل العشق حتى قبورهم ... عليها تراب الذل بين المقابر

---

(١) انظر ديوان الشابي.

وبعضهم ربما وصل به الأمر إلى حد السكر بحب معشوقه كما أخبر الله تعالى عن قوم لوط وأقسم بحياة محمد ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وقد عتب الرشيد يوما على بعض جواريه في أمر وكان يحبها حباً شديداً فحلف ألا يدخل حجرتها فلم تترضاه فقال:

صدعني إذ رآني مفتتن ... وأطال الصد لما أن فطن
كان مملوكي فأضحى مالكي ... إن هذا من أعاجيب الزمن

ثم بعث إلى أبي العتاهية يأمره أن يجيزها فقال:

عزة الحب أرته ذلتي ... في هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكا له ... ولهذا شاع أمري وعلن

قال المصنف – غفر الله له – وهذا الذل لا يحتمله ذو أنفة فإن أهل الأنفة حملهم طلب علو القدر على قتل النفوس وإجهاد الأبدان في طلب المعالي ونحن نرى طالب العلم يسهر ويهجر اللذات أنفة من أن يقال له جاهل والمسافر يركب الأخطار لينال ما يرفع قدره من المال حتى إن رذالة الخلق ربما حملوا كثيرا من المشاق ليصير لهم قدر فهذا الساعي يتعب نفسه بالعدو ويصبر عن لذات الجماع لينال قدرا وقد قال القائل:

وكل امرىء قاتل نفسه ... على أن يقال له إنه

فأما من لا يأنف من الذل وينقاد لموافقة هواه فذاك خارج عن المتميزين.

قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص: «ما ألذ الأشياء؟ قال: يا أمير المؤمنين مر أحذاق قريش فليقوموا فلما قاموا قال إسقاط المروءة. يريد أن الرجل إذا لم تهمه مروءته فعل ما يهوى ولم يبال بلوم وهذه صفات البهائم فأما أرباب الأنفة فكما قال ابن المعتز:

وإني وإن حنت إليك ضمائري ... فما قدر حبي أن يذل له قدري

وقال أبو فراس:

لقد ضل من تحوى هواه خريدة ... وقد ذل من تقضي عليه كعاب
ولكنني والحمد لله حازم ... أعز إذا ذلت لهن رقاب
ولا تملك الحسناء قلبي كله ... ولو شملتها رقة وشباب
وأجري ولا أعطى الهوى فضل مقودي ... وأهفو ولا يخفى علي صواب
صبور ولو لم تبق مني بقية ... قؤول ولو أن السيوف جواب

وقال عبد الواحد بن نصر الببغاء:

سل الصبابة عني هل خلوت بمن ... أهوى مع الشوق إلا والعفاف معي
لا صاحبتني نفس لو هممت بأن ... أرمي بها لهوات الموات لم تطع
تأبى الدناءة لي نفس نفاستها ... تسعى لغير الرضا بالري والشبع

ولمنصور بن الهروي:

خلقت أبي النفس لا أتبع الهوى ... ولا أستقي إلا من المشرب الأصفى
ولا أحمل الأثقال في طلب الغنى ... ولا أبتغي معروف من سامني خسفا
ولا أتحرى العز فيما يذلني ... ولا أخطب الأعمال كي لا أرى صرفا

ولا شك أن مراد كل عاشق أن يزني بمن يعشق لكن عواقب ارتكاب الفواحش وخيم في الدنيا والآخرة فقد حلت بالزناة نكبات ومصائب لم تحل بغيرهم من ذلك الأمراض المستعصية الفتاكة مثل: مرض الطاعون والإيدز والزهري والهربس وفيروس الحب والسيلان وغير ذلك من الأمراض العصرية. ولهذا قال ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»(١).

وجاء في كتاب أعلى النعيم: والعشق الشهوي عبودية على عبودية وذلة على

(١) رواه ابن ماجة ٤٠١٩ وهو في الصحيحة برقم ١٠٦.

ذلة والبهيمة أحسن حالا ممن ابتلي به لأنها إذا أسقطت الأذى عن نفسها بالسفاد سكنت فصارت إلى الراحة وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها ومن أثار شهوته فهو كمن يثير بهائم عارية وسباع ضارية.

قيل لبعض الحكماء: ما العشق؟ قال جنون لا يؤجر صاحبه عليه.

وسئل آخر عنه فقال: نفس فارغة لا همة لها.

وقال غيره: هو سوء اختيار صادف نفسا فارغة. أي ذل وشقاء ورق أنكى من ذل رجل يقول لمعشوقته:

أتاني منك سبك لي فسبي ... أليس جرى بفيك اسمي فحسبي

ولقد جرت على العشاق محن لا تطاق، كان مجنون ليلى لا يعرف ليلا ولا نهارا وكان إذا رأى الجبل قال ليلى وإذا رأى البحر قال ليلى وغلب عليه الوسواس فهرب إلى الوحش من الناس:

لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسبيه لم يسبه

والمجنون هو القائل:

أصلي فأبكي والصلاة لذكرها ... لي الويل مما يكتب الملكان

وهو القائل:

إذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

وهو القائل:

عجبت لعروة العذري أمسى ... أحاديث لقوم بعد قوم
وعروة مات يوما مستريحا ... وهأنذا أموت بكل يوم.اهـ

وقالوا عن العشق إنه اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود، وقال أعرابي العشق خفي أن يرى وجلى أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر

إن قدحته أورى وإن تركته توارى. وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فكما أن الحب أوله علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم صبابة لانصباب القلب نحوه ثم غرام للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه ثم يصير عشقا إلى أن يصير تتيما والتتيم التعبد وتيم الله عبد الله فيصير القلب عبداً للمحبوب مطيعا له لا يستطيع الخروج عن أمره، وقد آل الأمر بكثير من عشاق الصور إلى ما هو معروف عند الناس مثل من حمله ذلك على قتل نفسه وقتل معشوقه أو الكفر والردة عن الاسلام أو أفضى به إلى الجنون وزوال العقل أو أوجب خروجه عن المحبوبات العظيمة من الأهل والمال والرياسة أو أمراض جسمه وأسنانه)[٢] اهـ.

فالعشق قد يجعل الرجل كالطفل، فقد جاء عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا فقال النبي ﷺ: «**لو راجعته**»، قالت: يا رسول الله تأمرني؟، قال: «**إنما أنا أشفع**»، قالت: لا حاجة لي فيه)[٣].

ولما رأى بعض السلف عاشقا قد حمله قومه إلى الكعبة يستشفون له مكث أربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته إلا المعافاة من العشق، فعلى أصحاب العقول النيرة والعفاف والدين أن يشكروا الله الذي أنعم عليهم بالطاعة ورزقهم القناعة، وبغض إليهم طرق الغواية والشناعة، وصانهم عن الإنحراف والسلوك المشين والضلال.

ألا فليحمد الله كل من وفقه الله إلى الرجوع إليه وعرف شر نفسه وإضلال شياطين الجن والإنس له وابتعد عن المساوئ وأهلها واتصف بالمحاسن وصفاتها.وعسى أن تكون هذه الرسالة رادعة للشباب المنحرف بسبب معرفتهم أخبار التائهين ونهاية

---

(١) انظر المستطرف في كل فن مستظرف.

(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٥٦٧ .

(٣) رواه البخاري رقم ٤٩٧٩ .

الغافلين وسعادة المؤمنين الموفقين منهم والتائبين. وسأذكر نبذة يسيرة من قصص وأخبار العشاق وأشعارهم وما قيل فيهم لغرض التفكر والاعتبار والتذكر والاتعاظ لقوله تعالى: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال أيضا: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [يوسف: ١١١].

والأمر كما قال الشاعر:

وكل أمرئ يدري مواقع رشده ... ولكنه أعمى أسير هواه

يشير عليه الناصحون بجهدهم ... فيأبى قبول النصح وهو يراه

أسأل الله أن يبصرنا عيوبنا وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بها يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com

تمهيـــد

لاشك أن الإنسان له شهوة وغريزة وميول إلى المعاصي فإن لم يجاهد نفسه وقع فيما يضره، ولهذا حرم الإسلام المعاصي وأسبابها،وأهم الأسباب هو إطلاق البصر فإن النظر إلى ما حرم الله فيه خطر عظيم فهو من دواعي العشق والزنا وقد جاءت الأدلة على تحريم إطلاق النظر من ذلك: قوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (وبدأ سبحانه بالغض في الموضعين قبل حفظ الفرج، لأن النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج، والوسيلة مقدمة على المتوسل إليه)(١).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (فلما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة،... وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته)(٢).

ففي إطلاق النظر انتهاك حرمات الله لقوله ﷺ: («**لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا**»، قال

---

(١) فتح القدير ٤ / ٢٧ .

(٢) روضة المحبين (ص٩٢).

ثوبان يا رسول الله: صفهم لنا؟ جلهم لنا؟ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد نص الإمام أحمد على هذا فقال: [ينبغي للعبد في هذا الزمان أن يستدين ويتزوج لئلا ينظر إلى ما لا يحل فيحبط عمله](٢) اهـ المراد. فالنظر أصل الخطر والفتن كما قال الشاعر:

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

وأنشد بعضهم:

الحب أوله شيء يهيم به قلـ ... ـب المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت ... ومزحة أشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فإذا ... تضرمت أحرقت مستجمع الحطب

وكما أنه يجب على الرجال غض البصر فكذلك النساء فإن النظر سهم من سهام إبليس والمعصوم من عصمه الله.

قال تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣١].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره: فيه ثلاث وعشرون مسألة:

الأولى: قوله تعالى ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ**﴾ خص الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد فإن قوله قل للمؤمنين يكفي لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين حسب كل خطاب عام في القرآن وظهر التضعيف في يغضضن ولم يظهر في يغضوا لأن لام الفعل من الثاني ساكنة ومن الأول متحركة وهما في موضع جزم جوابا وبدأ بالغض قبل الفرج لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائد الموت وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف وفي الخبر «**النظر سهم من سهام إبليس**»(٣) مسموم فمن غض

(١) رواه ابن ماجة ٤٣٤٥ وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٥٠٥٥.
(٢) «كتاب الصلاة وحكم تاركها»، ص ٦٥. (٣) أخرجه الحاكم وغيره وهو في الضعيفة برقم ١٠٦٥.

بصره أورثه الله الحلاوة في قلبه. وقال مجاهد إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر فإذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر.

وعن خالد بن أبي عمران قال لا تتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة نغل منها قلبه كما ينغل الأديم فلا ينتفع به فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عما لا يحل فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة ولا المرأة إلى الرجل فإن علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله كتب على بن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر**» الحديث وقال الزهري في النظر إلى التي لم تحض من النساء لا يصلح النظر إلى شيء منهن ممن يشتهى النظر إليهن وإن كانت صغيرة وكره عطاء النظر إلى الجواري اللاتي يبعن بمكة إلا أن يريد أن يشتري وفي الصحيحين عنه عليه السلام أنه صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سألته وطفق الفضل ينظر إليها وقال عليه السلام: «**الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق**»[١] والمذاء هو أن يجمع الرجل بين النساء والرجال ثم يخليهم يماذي بعضهم بعضا مأخوذ من المذي وقيل هو إرسال الرجال إلى النساء من قولهم مذيت الفرس إذا أرسلتها ترعى وكل ذكر يمذي وكل أنثى تقذي فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها إلا لمن تحل له أو لمن هي محرمة عليه على التأبيد فهو آمن أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها...)[٢] أهـ المراد تفسير.

فليس التحريم محصورا على الرجل فقط بل إنه ايضا يشمل المرأة لقوله تعالى في الآية ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ**﴾ فالمرأة كذلك تفتن بالنظر إلى الرجل فهما في الطبع والغريزة سواء والفتنة مشتركة وأكبر برهان على ذلك ما ذكره الله عن يوسف عليه السلام في قصته مع امرأة العزيز قال تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:٢٣] ثم

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة وهو في الضعيفة برقم ١٨٠٨.

(٢) القرطبي ١٢ / ٢٢٦-٢٢٧.

طلبت منه أن يخرج على النساء المجتمعات من أجل مشاهدة جماله قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف:٣١]. فعصمه الله من تلك الفتنة فقال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤]. وقال عزيز مصر بعد أن عرف كيد زوجته ليوسف ﴿**إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ [يوسف: من الآية٢٨].

قال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – النساء شقائق الرجال، فكما أن المرأة تعجب الرجل فكذلك الرجل يعجب المرأة وتشتهيه كما يشتهيها، ولهذا تنفر من الشيخ كما ينفر الرجل من العجوز)[١]. اهـ

فلا يجوز للرجال أن ينظروا إلى النساء كما أنه لا يجوز للنساء أن ينظرن إلى الرجال لأن علاقتهم بهن كعلاقتهن بهم فقصدهما واحد.

قال الحافظ محمد بن عبد الله العامري رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**﴾: تأكيدا لأمر النظر واحتياطا لصيانة الفروج عن الزنا والخطر ولئلا يتوهم متوهم أن الأمر يختص بالرجال[٢].

وقال الإمام النووي رحمه الله: (والصحيح الذي عليه جمهور العلماء وأكثر الصحابة أنه يحرم على المرأة النظر إلى الأجنبي كما يحرم عليه النظر إليها...لأن الفتنة مشتركة، وكما يخاف الافتتان بها، تخاف الافتتان به)[٣].

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: (الأمر بغض البصر وحفظ الفرج من الرجال والنساء على حد سواء في الآية الأولى وصدر الآية الثانية، وما ذاك إلا لعظم فاحشة الزنا وأن غض البصر وحفظ الفرج أزكى للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وأبعد عن الوقوع في هذه الفاحشة. وإن حفظ الفرج لا يتم إلا ببذل أسباب السلامة والوقاية، ومن أعظمها غض البصر)[٤] اهـ.

---

(١) المحرمات على النساء ص ٢٥
(٢) أحكام النظر...ص ٣٥.
(٣) شرح لصحيح مسلم ٣ / ٦٩٤.
(٤) حراسة الفضيلة ص ٤٩.

obeikandi.com

وعن عبادة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(١).

فالنظر إلى غير المحارم حرام لم يشرع إلا عند الضرورة مثل نظر الخاطب إلى مخطوبته أو غيرها مما هو جائز فقد قال النبي ﷺ لرجل تزوج: «**أنظرت إليها؟**» قال: لا، قال: «**اذهب فانظر إليها**»(٢).

ولما كان الفضل ابن العباس رضي الله عنهما رديف النبي ﷺ يوم النحر من مزدلفة إلى منى، مرت ظعن تجري؟ فطفق الفضل ينظر إليهن فحول رسول الله ﷺ رأسه إلى الشق الآخر)(٣).

ومن حديث علي رضي الله عنه عند الترمذي وأحمد وغيرهما أن جارية شابة مِنْ خَثْعَمٍ اسْتَفْتَت النبي ﷺ فقالت: «**إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الْحَجِّ أَفَيُجْزِئُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟**، قَالَ: «**حُجِّي عَنْ أَبِيكِ قَالَ: وَلَوَى عُنُقَ الْفَضْلِ فَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ قَالَ رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَمْ آمَنْ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا**»

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهذا منع وإنكار بالفعل. فلو كان النظر جائزا لأقره عليه)(٤). اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه النطق، والرجل تزني وزناها الخطى، واليد تزني وزناها البطش، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك و يكذبه**»(٥).

---

(١) رواه أحمد ٥ / ٣٢٣ وحسنه شعيب برقم ٢٢٧٥٧ وابن حبان رقم٢٧١ وابن خزيمة رقم ٩١ والحاكم ٤ / ٣٥٨ و والبيهقي في الكبرى ٦ / ٢٨٨ وفي الشعب ٢ / ٤٧ عن عبادة مرفوعا. وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٤٧ .

(٢) رواه مسلم ١٤٢٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم ١٢١٦ من حديث جابر.

(٤) روضة المحبين، ص٩٢ .

(٥) رواه البخاري ١١ / ٦١٤ رقم ٦٦١٢، ٦٣٤٣ ومسلم ١٦ / ١٦٨ رقم٢٦٥٧ .

قال ابن القيم: (فبدأ بزنى العين لأنه أصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج، ونبه بزنى اللسان بالكلام على زنى الفم بالقبل، وجعل الفرج مصدقا لذلك إن حقق الفعل، أو مكذب له إن لم يحققه).

وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصى بالنظر وأن ذلك زناها ففيه رد على من أباح النظر مطلقا»[١]. اهـ

وقال ﷺ: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية**»[٢].

وفي رواية يا علي إن لك كنزا في الجنة فلا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة[٣].

قال الحافظ محمد بن عبد الله العامري رحمه الله: (...يعني أن النظرة الأولى نظرة الفجأة من غير قصد مبيح لك عفو بلا إثم وليست لك الثانية إذا أتبعتها نظرة تمتع. هذا خطابه لعلي رضي الله عنه مع علمه بكمال زهده وورعه وعفة باطنه وصيانة ظاهره يحذره من النظر، ويؤمنه من الخطر لئلا يدعي الأمن كل بطال ويغتر بالعصمة والأمن من الفتنة، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)[٤].

وقد سأل جرير رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال له: «**اصرف بصرك**»[٥].

ونظرة الفجأة هي كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر، فما لم يتعمده القلب لا يعاقب عليه، فإذا نظر الثانية تعمدا أثم، فأمر النبي ﷺ عند نظرة الفجأة أن يصرف بصره ولا يستديم النظر فإن استدامته كتكريره، وأرشد من ابتلي بنظرة الفجأة أن يداويه بإتيان امرأته، فقال: رسول الله «**إن معها مثل الذي معها**». فإن في ذلك التسلي عوض عن المطلوب بجنسه.

---

(١) روضة المحبين (ص٩٣).

(٢) رواه أحمد ٥ / ٣٥٣، ٣٥٧ وأبو داود ٢ / ٢٥٢ رقم، ٢١٤٩ عون٢١٤٩ والترمذي ٥ / ٩٤ رقم ٢٧٧٧، والحاكم ٣ / ١٩٤ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي٧ / ٩٠ . وحسنه الألباني في غاية المرام ص ١٢٣ .

(٣) رواه أحمد ١ / ١٥٩ والحاكم ٣ / ١٢٣ وحسنه شعيب في تحقيقه لمسند أحمد.

(٤) أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الخطر والآفات ص ٥٠ تقديم...مشهور حسن

(٥) رواه مسلم ١٤ / ١١٧ رقم ٢١٥٩ والترمذي رقم ٢٧٧٦ وأبو داود ٢ / ٢٥٢ رقم ٢١٤٨ والدارمي ٢ / ٢٧٨ .

والثاني أن النظر يثير قوة الشهوة فأمر بتنقيصها بإتيان أهله، ففتنة النظر أصل كل فتنة(١). اهـ

وقد روى أحمد [٥ / ٤٢٤] عن جابر رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**»)(٢).

قال الشيخ البسام: (فهذا دليل على تحريم النظر إلى وجه الأجنبية وإلا ما يباح للخاطب النظر من جسمها وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى ولا عبرة بالأقوال الضعيفة التي لا تستند إلى حق وصواب)(٣). اهـ

وقد أحسن من قال:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

فتهذيب النفس والسيطرة على الغريزة لا يتم إلا بغض البصر ولا يكون غض البصر إلا لمن فعل المأمور واجتنب المحذور.

ويدخل في ذلك النظر إلى الصور خصوصا إن كانت الصورة لمعين أو معروف لأن نفس المرأة تتعلق بالرجل ونفس الرجل تتعلق بالمرأة فبسبب تصوير النساء المعروفات وقعت جرائم وهتكت أعراض وأصبحت بعض الفتيات العفيفات من المومسات كما سيأتي ذكر ذلك في أخر هذا الكتاب [قصص وعبر] وبسبب متابعة الصور المتحركة في القنوات والمجلات والإنترنت قد سافر كثير من الشباب إلى الخارج من أجل جريمة الزنا وغير ذلك من أنواع المعاصي لم يقتنعوا بالفساد الموجود في بلدانهم.

قال ابن القيم رحمه الله:

مل السلامة فاعتدت لحظاته ... وقفا على طلل يظن جميلا
مازال يتبع أثره لحظاته ... حتى تشحط بينهن قتيلا

---

(١) روضة المحبين ص ٩٦).
(٢) رواه أبو داود ٢ / ٣٩٢ رقم ٢٠٨٢ كما في صحيح أبي داود للألباني.
(٣) توضيح الأحكام ٤ / ٣٥٢- ٣٥٣

وقال أيضا:

مـــازلت تتـــبع نظرة في نظرة ... في إثر كـل مليـحـــة ومليح
وتظن ذاك دواء جرحك وهو في التـ ... ـدقـيق تجـــريح على تجـــريح
فـذبحت طرفـك باللحـاظ وبالبكا ... فـــالقلب منك ذبيـح ابن ذبيـح

وقال الشاعر:

وطرف الفتى يا صاح رائد فرجه ... ومتعبه فاغضضه ما اسطعت تهتد

وفضول النظر يدعوا إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور في القلب؛ فيحدث أنواعا من الفساد في قلب العبد: . . . منها دخول الشيطان مع النظرة، فإنه ينفذ معها أسرع من نفوذ الهوى في المكان الخالي؛ ليزين صورة المنظور، ويجعلها صنما يعكف عليه القلب، ثم يعبده ويمنيه، ويوقد على القلب نار الشهوات ويلقي حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة. . . وقال أطباء القلوب: بين العين والقلب منفذ وطريق، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكن معرفة الله ومحبته، ولإنابة إليه، والأنس به، والسرور بقربه وإنما يسكن فيه أضداد ذلك)[1]. اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله في [شفاء العليل ص٢٨١-٢٨٢]: (فالرب سبحانه أعطاه مشيئة وقدرة وإرادة، وعرفه ما ينفعه وما يضره وأمره أن يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه، فإجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرسا يركبها وأوقفه على طريق نجاة وهلكه وقال أجرها في هذه الطريق فعدل بها إلى الطريق الأخرى وأجراها فيها فغلبته بقوة رأسها وشدة سيرها وعز عليه ردها عن جهة جريها وحيل بينه وبين إدارتها إلى ورائها مع اختيارها وإرادتها فلو قلت كان ردها عن طريقها ممكنا له مقدوراً أصبت وإن قلت لم يبق في

(١) تزكية النفوس ص ٣٧ .

هذه الحال بيده من أمرها شيء ولا هو متمكن أصبت بل قد حال بينه وبين ردها من يحول بين المرء وقلبه ومن يقلب أفئدة المعاندين وأبصارهم، وإذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عرضت له صورة بارعة الجمال فدعاه حسنها إلى محبتها فنهاه عقله وذكره ما في ذلك من التلف والعطب وأراه مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه فعاد يعاود النظر مرة مرة ويحث نفسه على التعلق وقوة الإرادة ويحرض على أسباب المحبة ويدني الوقود من النار حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ورمت بشررها وقد أحاطت به طلب الخلاص قال له القلب هيهات لات حين مناص وأنشده:

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

فكان الترك أولا مقدورا له لما لم يوجد السبب التام والإرادة الحازمة الموجبة للفعل فلما تمكن الداعي واستحكمت الإرادة قال المحب لعاذله:

يا عاذلي والأمر في يده هلا عذلت وفي يدي الأمر

فكان أول الأمر إرادة واختيار ومحبة، ووسطه اضطراراً، وآخره عقوبة وبلاء، ومثل هذا برجل ركب فرسا لا يملكه راكبه ولا يتمكن من رده وأجراه في طريق ينتهي به إلى موضع هلاك، فكان الأمر إليه قبل ركوبها فلما توسطت به الميدان خرج الأمر عن يده، فلما وصلت به إلى الغاية حصل على الهلاك، ويشبه هذا حال السكران الذي قد زال عقله إذا جنى عليه في حال سكره لم يكن معذورا لتعاطيه السبب اختياراً، فلم يكن معذورا بما ترتب عليه اضطرارا، وهذا مأخذ من أوقع طلاقه من الأئمة ولهذا قالوا إذا زال عقله بسبب يعذر فيه لم يقع طلاقه فجعلوا وقوع الطلاق عليه من تمام عقوبته والذين لو يوقعوا الطلاق قولهم أفقه كما أفتى به عثمان بن عفان ولم يعلم له في الصحابة مخالف ورجع عليه الإمام أحمد واستقر عليه قوله فإن الطلاق ما كان عن وطر والسكران لا وطر له في الطلاق) أهـ .

قال شيخ الإسلام: (العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدة وملامسة وسماعا، بل ويضره التفكر فيه والتخيل له وهو يشتهي ذلك، فإن منع من مشتهاه تألم وتعذب، وإن أعطي مشتهاه قوى مرضه وكان سببا لزيادة الألم) [مجموع الفتاوى ١٠ / ١٣٠].

وقال أيضا: (والانسان قد يبغض شيئا فيبغض لأجله أمورا كثيرة بمجرد الوهم والخيال وكذلك يحب شيئا فيحب لأجله أمورا كثيرة لأجل الوهم والخيال كما قال شاعرهم:

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

فقد أحب سوداء فاحب جنس السواد حتى في الكلاب وهذا كله مرض في القلب في تصوره وإرادته فنسأل الله تعالى أن يعافي قلوبنا من كل داء ونعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء) [مجموع الفتاوى ١٠ / ١٣٤].

وقال الشاعر:

وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخن عينه عند التلاقي

لا يجوز إطلاق النظر لعشرة أوجه:

أحدها: أن الله سبحانه أمر بغض البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرمه على العبد.

الثاني: أن النبي ﷺ سئل عن نظر الفجأة، وقد علم أنه يؤثر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر.

الثالث: أنه صرح بأن الأولى له وليست له الثانية، ومحال أن يكون داؤه مما له ودواؤه فيما ليس له.

الرابع: أن الظاهر قوة الأمر بالنظرة الثانية لا تناقصه، والتجربة شاهدة به، والظاهر أن الأمر كما رآه أول مرة فلا تحسن المخاطرة بالإعادة.

الخامس :أنه ربما رأى ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابه.

السادس :أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسن لتتم البلية.

السابع :انه لا يعان على بليته إذا أعرض عن امتثال أوامر الشرع وتداوى بما حرمه عليه، بل هو جدير أن تتخلف عنه المعونة.

الثامن :أن النظرة الأولى سهم مسموم من سهام إبليس ومعلوم أن الثانية أشد سما فكيف يتداوى من السم بالسم؟.

التاسع :أن صاحب هذا المقام في مقام معاملة الحق عز وجل في ترك محبوب كما زعم، وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبين حال المنظور إليه، فإن لم يكن مريضا تركه، فإذا يكون تركه لأنه لا يلائم غرضه لا لله تعالى، فأين معاملة الله سبحانه بترك المحبوب لأجله؟.

العاشر :يتبين بضرب مثل مطابق للحال وهو أنك إذا ركبت فرسا جديدا فمالت بك إلى درب ضيق لا ينفذ ولا يمكنها تستدير فيه للخروج، فإذا همت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل، فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فصح بها وردها إلى وراء عاجلا قبل أن يتمكن دخولها، فإن ردتها إلى ورائها سهل الأمر، وإن توانيت حتى ولجت وسقتها داخلا ثم قمت يجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوقها إلى داخل؟ فكذلك النظرة إذا أثرت في القلب،فإن عجل الحازم وحسم المادة من أولها سهل علاجه، وإن كرر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن، ويلقى القلب في التلف. والسبب في هذا أن الناظر التذت عينه بأول نظرة فجلبت

المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة، ولو أنه غض لاستراح قلبه وسلم، وتأمل قول النبي ﷺ: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس**»[١] فإن السهم شأنه أن يسر في القلب فيعمل فيه عمل السم الذي يسقاه المسموم، فإن بادر واستفرغه وإلا قتله ولابد.

قال المروذي: قلت لأحمد الرجل ينظر إلى المملوكة. قال أخاف عليه الفتنة، كم نظرة قد ألقت في قلب صاحبها البلابل. وقال ابن عباس: الشيطان من الرجل في ثلاثة: في نظره وقلبه وذكره، وهو من المرأة في ثلاثة: في بصرها وقلبها وعجزها)[٢] اهـ.

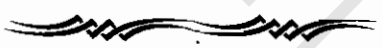

(١) الحديث في الضعيفة برقم ١٠٦٥.

(٢) روضة المحبين (ص ٩٣- ٩٥).

obeikandl.com

فوائد غض البصر

وكما أن إطلاق البصر فيه أضرار كذلك لغضه فوائد:

أحدها: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه... والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية فإن لم تقتله جرحته.

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نورا وإشراقا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه...

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل:

مرآة قلبك لا تريك صلاحه والنفس فيها دائما تتنفس

وقال شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته. وكان شجاع لا تخطئ له فراسة. والله سبحانه وتعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه، فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره عن المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبرابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له

بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض. ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه اظلم، وانسد عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة. وفي الأثر: إن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله، ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه. قال الحسن: إنهم وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين إن ذل المعصية لفي قلوبهم. أبى الله إلا أن يذل من عصاه. وقال بعض الشيوخ: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله. ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وفيه قسط ونصيب من فعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت: إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت.

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورا وفرحة، وانشراحا أعظم من اللذة والسرور والحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضا فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء أعاضه الله مسرة ولذة أكمل منها، كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب. ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحا وسرورا ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما. وهاهنا يمتاز العقل من الهوى.

الفائدة السابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، فهو كما قيل: طليق برأي العين وهو أسير. ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب وصار:

كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول،

فمتى هتك الحجاب وقع في المحذور ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقتنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد فصاحب الطرف لا يقنعه التليد، وإن كان احسن منه منظرا وأطيب مخبرا، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه.

قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب سببا حتى يفكر ما تجني عواقبه

الفائدة التاسعة: أنه يقوى عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته العواقب. ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره.

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال الله تعالى عن عشاق الصور ﴿**إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر:٧٢].

فالنظرة كأس من خمر، والعشق هو سكر ذلك الشراب، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر فإن سكران الخمر يفيق، وسكران العشق قلما يفيق إلا وهو في معسكر الأموات، كما قيل:

سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران؟

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وإنما نبهنا عنه تنبيها ولا سيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلا إلى قضاء الوطر منه شرعا)[1]. انتهى مختصرا.

قلت: فالغفلة سبب مهم جدا لولاه ما قُبل العشق فقد تجعل الغفلة العبد ربما يصل به الحال إلى درجة البهيمية فلا يدري المصلحة من المفسدة حتى يكون في معسكر الموتى نادما بين الخاسرين قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ**

(١) المصدر السابق، ص ٩٧ - ١٠٥.

لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالغفلة تسبب خواء القلب من الخير وقبول كل شر، وأهم الشرور المتفشية والمعاصي المنتشرة عشق الرجال النساء والعكس، وربما وصل الأمر إلى عشق المردان. وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

قال أبو العتاهية:

الناس في غفلاتهم ورحا المنية تطحن

وإليك قصص من لم يغض بصره ويحفظ فرجه ولم يسلم من شر ما كسبت يداه في دنياه لعل في ذلك عبرة لمن وفقه الله:

obeikandl.com